ملامح من كتابات الرحالة والمؤرخين الإغريق والرومان القدامى والأوروبيين فى العصر الحديث فى شبه الجزيرة العربية

أ.خالد إبراهيم عبد المنصف•
أ.منار مصطفى محمد إسماعيل••

كانت كتابات الرحالة والمؤرخين الإغريق والرومان فى شبه الجزيرة العربية مصدراً هاماً، إلى جانب عدة مصادر منها الآثار التى خلفها الإنسان لتكون شاهدة لتاريخ حضاراته، والنصوص العربية القديمة بمختلف الخطوط مثل (المسند - والآرامية - النبطية - والتدمرية)، التى نصت عن مواضيع سواء كانت (إجتماعية – دينية - سياسية – حربية)، وهى من المصادر الرئيسية التى صورت حياتهم الإجتماعية وعاداتهم وعقائدهم وسياستهم الداخلية والخارجية، والنصوص المسمارية التى تحدثت عن علاقات بعض دول العراق القديمة بعدد من قبائل ودويلات شبه الجزيرة منذ القرن التاسع ق.م، كما كانت المصادر المصرية القديمة المعاصرة للمصادر العراقية مصدراً لذكر أسماء بعض المناطق الإقليمية على طرق التجارة فى شمال شبه الجزيرة، وأيضاً التوراة بما تضمنه من أسفار وقصص مثل أسفار (التكوين – حزقيال – المزامير – عاموس – دانيال - التلمود) وذكر بها ترتيب أنساب القبائل التى عرفها العبرانيون، كما ذكر القرآن الكريم فى بعض آياته أحوال الشعوب العربية القديمة، ثم مؤلفات المؤرخين المسلمين التى جاءت على سبيل المثال من القصص العربية والأشعار الجاهليةالتى كانت مصدراً للحياة الإجتماعية وعاداتهم وحروبهم، وسلاسل الأنساب المروية، وما شاهدوه لما بقى من الآثار مثل المعابد والمقابر القديمة.

محور دراسة البحث: ما جاء فى كتابات الرحالة والمؤرخين الإغريق والرومان فى شبه الجزيرة العربية، على الرغم من ما تمثله من فائدة تاريخية إلا أنه يوجد بعض من السلبيات والإيجابيات، ولا تخلو من مبالغات، وذلك سيناقش البحث بعض نماذج من ما صدر عن كتابتهم على سبيل المثال هيرودوت فى أواسط القرن الخامس ق.م، واسترابون فى أواخر القرن الأول ق.م، وبلينى فى أوائل القرن الأول الميلادى.

وعن الرحالة والمؤرخين الأوروبيين فكان غرضهم فى الكشف عن خبايا الأرض والثروات الطبيعية، والمعالم الجغرافية والتاريخية، وذلك طبقاً للدراسات (التاريخية - الآثارية - الديانة – اللغة – نصوص - نقوش) الحديثة لشبه الجزيرة العربية.

•ليسانس آداب، كلية الآداب، قسم الآثار المصرية القديمة، جامعة عين شمس.
••باحثة بالماجستير فى الدراسات المصرية القديمة كلية الآداب قسم الآثار المصرية القديمة جامعة عين شمس.

المنارة للاستشارات
www.

الموقع الجغرافى: تقع شبه الجزيرة العربية فى الركن الجنوبى من قارة آسيا، محاطة بالخليج العربى فى الشمال الشرقى، وبمضيق هرمز وخليج عمان شرقاً وببحر العرب بالجنوب الشرقى وبالجنوب، وخليج عدن جنوباً، ومضيق باب المندب بالجنوب الغربى والبحر الأحمر بالجنوب الغربى وهى على شكل مستطيل غير متوازى الأضلاع مع انبعاج فى قاعدة المستطيل الجنوبية، تمتد حدودها الشمالية مشكلة وحدة طبيعية تشرف على عدد من المسطحات المائية التى تفصلها بأكثر من أرض[١].

أصل الجنس والاسم: يرجح إنتماء سكان شبه الجزيرة العربية فى جوهرهم إلى سلالة الساميين (وهو اسم اصطلاحى نشره الباحث النمساوى شلوسر August Ludvig Schlozer) فى أواخر القرن الثامن عشر ١٧٨١م، واستعاره مما ذكرته أنساب التوراة (فى مثل الإصحاح العاشر من سفر التكوين) عن ولد لنوح عليه السلام يدعى شام أو سام فى مقابل ولد آخر يدعى حام، وولد ثالث هو يافث[٢].

الشعوب السامية: تتميز غيرها بصفات معينة مشتركة بينها. وهذه الخصائص لغوية قبل كل شىء فى الأصوات والصيغ والتركيبات النحوية والمفردات مما يدلل على وجود أصل مشترك لها. وتلك الصفات اللغوية المميزة للسامية وإن كانت تشترك فى الأصول إلا أن الإختلافات أيضاً كثيرة طبقاً للمنطقة وعلى هذا يمكن تقسيمها إلى مجموعات رئيسية تصلح أساساً لتقسيم الشعوب التى كانت تتحدث بها وهى كالتالى:

المجموعة الأولى: هى المجموعة "السامية" التى ينتمى إليها أقدم ما لدينا من نصوص هى المجموعة اللغوية الخاصة "بالآكاديين" أى السكان الساميين لأرض الرافدين: "البابليين" و"الآشوريين".

المجموعة الثانية: وهى مجموعة اللغات التى تسمى باللغات الكنعانية، لأنها كان يتحدث بها فى المنطقة التى تسميها التوراة "كنعان" وهى التى تشمل "فلسطين" وجزء من "سوريا" وإلى هذه المجموعة تنتمى العبرية.

المجموعة الثالثة: هى المجموعة "الآرامية" وهى طائفة من اللهجات وجدت فى "سوريا" ثم امتدت بعد ذلك فى المناطق المحيطة بها.

المجموعة الرابعة: وهى أكثرها شيوعاً وهى العربية ويرجح أن يكون موطنها الأصلى "اليمن" وقد ظهرت قبل الإسلام بزمن طويل.

المجموعة الخامسة: وهى "الأثيوبية" التى كان يتكلم بها المستوطنون.

وتعددت الآراء مرة أخرى فى منشأ وتفسير كلمة "عرب" وكانت أهم الآراء كالتالى:

---

[١] محمود طه أبو العلا، *جغرافية شبه الجزيرة العربية، المملكة العربية السعودية*، القاهرة، مطبعة البيان العربى، جـ ١، ص ٥-٦.

[٢] عبد العزيز صالح، *تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٦.

المنارة للاستشارات
www.

١) فمن وجهة النظر العربية ما يفيد بإشتقاق لفظ العرب من اسم "جد" أعلى كان يسمى (يعرب بن قحطان) أو من فعل يعرب بمعنى يفصح تدليلاً على ما كان للعرب من فصاحة وحُسن بيان، وبذلك تكون لفظة العرب مشتقة من الأعراب، وهو "أعرب الرجل عن حاجته"، أى أبان وأفصح.

٢) أو إشتقاقها من اسم (عُربة) وهو أحد أسماء "مكة" التى شب إسماعيل عليه السلام على أراضيها، أو أنه اسم لجزء منها.

٣) ومن وجهات نظر أخرى من يشير إلى أن كلمة عرب لها علاقة بمجموعة من المفردات العبرانية الشبيهة بالكلمة والتى تؤدى معنى جائز ومقبول مثل:
كلمة "أرابا" بمعنى الأرض الداكنة، وكلمة "إرب" التى تعبر عن معنى الحرية وعد الخضوع لنظام ما. أو من كلمة "عابار" بمعنى التجوال أو الترحال، وكلمة "عرابا" بمعنى الأرض الجافة.

٤) ويرى بعض الباحثين أن كلمة عرب مشتقة من أصل سامى قديم أيضاً ولكنه هنا بمعنى الغرب، ويفسرون ذلك بأن سكان الرافدين سموهم بهذا الاسم لأن الغرب كانوا يقيمون فى البادية الواقعة إلى الغرب من بلادهم[٣].

وإذا تتبعنا تاريخ اللفظة ومدلولها فى اللغات القديمة وجدنا أقدم نص وردت فيه هو وثيقة "آشورية" للملك (شلمانصرالثالث) ويرجع تاريخها إلى ٨٥٣ ق.م.، ومنذ القرن التاسع ق.م. أخذ لفظ عرب يرد لكثرة فى الوثائق الآشورية والبابلية ولكن بصيغاً متعددة منها: "أربى"، "أريبى"، "أريبو"وأُطلقت هذه الكلمة على سكان جنوب الشام وشبه الجزيرة العربية.

أما المصادر المصرية القديمة فقد ذكرت بدورها كلمة مشابهة حيث استخدمت كلمة (أرابايا) مقاربة للتسمية المسمارية السابق ذكرها ودلت بها على المنطقة القريبة من حدودها المصرية فى شبه الجزيرة العربية[٤].

((يعتقد أن المصادر المصرية القديمة نظراً لتبادل المراسلات بينها وبين الآكاديين الذين فرضوا أن تكون الرسائل بلغتهم دون اللغات الأخرى. وبذلك يمكن القول ولأول مرة أن المراسلات المصرية تأثرت باللغة التى فرضت فى الشرق الأدنى، حيث أن المصريين قد جمعوا القصص الأدبية والأحداث السياسية وقاموا بعمل جداول للكلمات الواردة فى القصص الأدبية حتى يتمكنوا من قرائة رسائلهم ومراسلاتهم بنفس لغتهم. وما يدلل على ذلك ما يعرف برسائل "تل العمارنة" التى كانت عبارة عن لوحات طينية وهذا يدل أيضاً على أن المصريين تأثروا أيضاً بنفس أدوات كتابة "الآكاديين" وفيما بعدهم "الميتانيين" وغيرهم.))

---

[٣] السيد عبد العزيز سالم، *تاريخ العرب فى عصر الجاهلية*،دار النهضة العربية، بيروت،ص ٥٩.

[٤] عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، القاهرة ، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٨، ص ٦،٧.

المنارة للاستشارات
www.

وواضح من القرآن الكريم هو أقدم مصدر عربى وردت فيه صيغتا "أعراب"، و"عرب"، فقد وردت فيه لفظة أعراب عشر مرات، كما وردت لفظة عربى إحدى عشر مرة، منها عشر مرات نعتاً للغة التى نزل بها القرآن الكريم بأنها لغة واضحة بينة[٥].

إن العرب فرع من الساميين الذين نشأوا فى البداية فى مكان حوض البحر المتوسط قبل أن يتكون هذا الحوض الذى كان عبارة عن سهلاً منخفض، وحينما تكون الحوض فى هذا السهل اضطر الساميون إلى الهجرة إلى شمال أفريقيا وإلى الجزيرة العربية حيث استقر معظمهم، وأن أصل كلمة عرب ترجع إلى سيدنا إبراهيم الذى أطلقها على جزء من سكان الجزيرة العربية ثم شملت بعد ذلك الكل، أو أنها تسمية ترجع إلى الآرامية "أربى" ومعناها سكان البادية، وأن أصل إشتقاق الخط العربى يرجع إلى الخط الهيروغليفى.

أنواع العرب الأولين الذين فهَمهم الله اللغة العربية فتكلموا بها وقيل لهم: العرب البائدة وكلمة البائدة تفيد الإندثار والفناء وفى هذا القسم توجد عاد ثمود وطصم وجُرهم وجاسم... إلخ، والكتب المقدسة هى مصدرنا الأساسى عنهم كما ورد ذكر بعضهم أيضاً فى المراجع القديمة.

العرب العاربة إما بمعنى الراسخة فى العروبة وإما بمعنى الفاعلة للعروبة والمبتدعة لها وهم الأُصلاء فى نسبهم إلى (يعرب بن يشجب بن قحطان) ولذا يقال لهم القحطانيون وموطنهم الأصلى جنوب شبه الجزيرة ومنهم ملوك اليمن وقبائل سبأ وحمير، وقد نزلت منهم جماعات وقبائل فى ظروف متعددة، ونزلت بأجزاء مختلفة من الجزيرة العربية، كما أن منهم (الأزد) الذين تفرع منهم الأوس والخزرج.

والمستعربة: وهم الداخلون فى العربية بعد العجم (فرس – الأتراك - الروم أو غيرهم)، ويسمون المستعربة أى الذين دخل عليهم دماء ليست عربية ثم تم إندماج بين هذا الدم الدخيل وبين العرب وأصبحت اللغة العربية لسان المزيج الجديد وهؤلاء هم عرب الحجاز وموطنهم الأصلى مكة المكرمة.

وهم أولاد إسماعيل عليه السلام الذى جيء به إلى مكة وهو صغير ونشأ بين سكانها من قبيلة (جُرهم) وصاهر العرب وعاش أولاده بينهم بعد أن استعربوا وأصبحت لغتهم هى العربية بعد أن كانت السريانية لغة الكلدانييى من سكان بابل.

خطوط الكتابة القديمة فى شبه الجزيرة العربية[٦]: تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين، الأولى شاعت فيها كتابة المسند، وهى كتابة استخدمها الدول العربية الجنوبية المتحضرة القديمة، سبأ، قتبان، معين، حضرموت، وأوسان، ثم شاركتها فيها بعض الإمارات والجماعات الشمالية والغربية فى شبه الجزيرة العربية وما يتصل بها من

[٥] القرآن الكريم، سورة الزخرف،آية ٣.

[٦] عبد العزيز صالح، *تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٢٧-٣٥.

المنارة للاستشارات
www.

جنوب الشام، بعد أن حور كتبتها فى أشكال حروفها بما يتفق مع مدى إتقانهم لها وربما بما يناسب مخارج ألفاظهم، تعديلات مقصودة أحياناً أخرى، وهكذا خرجوا منها بخطوط إقليمية إمتاز منها الخط اللحيانى والخط الثمودى والخط الصفوى. والثانية من الخطوط التى اعتمدت أساساً على قواعد الكتابة الآرامية وكتب بها فريق آخر من الدول والإمارات العربية الشمالية والغربية، بعد أن حور كتبتها فيها هم الآخرون تحويراً قليلاً أو كثيراً، وأهم هذه الدول هى أدوم والأنباط وتدمر، مع احتمال وجود خطوط أخرى فرعية فى داخلها، وأخيراً اشتق كتبة الحجاز الخط العربى الصريح من الخط النبطى فى الأجيال القليلة التى سبقت ظهور الإسلام لا سيما فى مكة ويثرب.

وتعنى كلمة مسند الكتابة على الإطلاق، فكانت بعض الأوامر الملكية القديمة تبدأ بعبارة "سطرو ذن مسندن" أى سطروا أو اكتبوا هذه الكتابة. وربما تعنى أيضاً أن كل كلمة فى الخط المسند تكاد تستند على الخط القائم الذى يسبقها والخط القائم الذى يليها.

تضمنت كتابة المسند تسعة وعشرين حرفاً جامداً لم تتأكد أسماؤها القديمة ولا ترتيبها القديم حتى الآن، ولكن تشابهت أصوات ثمانية وعشرين حرفاً جامداً لم تتأكد أسماؤها القديمة ولا ترتيبها القديم حتى الآن، ولكن تشابهت أصوات ثمانية وعشرين حرفاً منها مع اصوات حروف الهجاء العربية الحالية، وزادت عليه حرف السين على الرغم من وجود سين أخرى عادية فى كتابة المسند، وذلك فى مقابل عدم تضمنها حرف "لا" المركب فى الكتابة العربية.

صفات كتابة المسند كانت حروفها تخطيطية، وليست صوراً صريحة أو مقاطع صوتية، وظلت حروفها تكتب منفصلة غير متصلة، الواحد منها بجوار الآخر، لم تتغير أشكال حروف المسند سواء كتبت فى بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها، وكانت سطورها الأفقية تكتب عادة من اليمين إلى اليسار، ولكن فردية الحروف، وثبات أشكالها كل منهما سمح لبعض الكتبة ببداية السطور من اليسار أحياناً، وقد يخالف الكاتب بين بدايتى سطرين متتاليين فيبدأ أولهما من اليمين ويبدأ الثانى من اليسار، كانت كل كلمة تنفصل عن الأخرى فى سطرها الأفقى بخط قائم، دون ترك مسافة مقصودة بين كلمة وأخرى إلا عند إلحاق حرف الوصل بأول الكلمة المتصل بها، ليس بها حروفاً لينة ولا حركة ولا تشكيل كما فى الكتابات السامية القديمة، عبرت أحياناً عن التعريف والتنوين بإضافة نون أخيرة فى نهاية الاسم، كما عبرت عن التنكير بإضافة حرف ميم أخيرة فى نهاية الاسم، كما نسبت أغلب أفعالها إلى ضمير الغائب، على الرغم من معرفة لغتها بضمائر المتكلم والمخاطب فى الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث، اكتفت بكتابة أصول الأفعال، وتركت للقارىء أن يستنتج صيغ هذه الفعال من سياق النصوص، فيما عدا التعبير عن صيغة المستقبل بإضافة حرف

المنارة للاستشارات
www.

السين أو حرف الهاء فى بدايتها، وعبرت عن التشديد بتكرار الحرف المراد تشديده، ولم تتضمن ما يعبر صراحة عن صيغة الإستفهام وما يشبهها[٧].

الخط النبطى: تعلم كتبة الأنباط الخط الآرامى من إمارة إدوم بعد أن استقروا فيها وحكموا إدوم وجبل سعير شرقى العقبة وجنوب شرقى الأردن، ثم من دولة دمشق الآرامية الأصل التى اتصلوا بها عن طريق التجارة، رسموا حروفه فى أشكال مختصرة وكتبوا بها لغتهم المحلية وكانت لغة عربية فى مجملها ولكنها عربية ذات رطانة آرامية لا سيما فى مناطق استقرارهم الشمالية.

صفات الكتابة: كتبت حروفها من قبل مفردة، وكلماتهم متعاقبة دون فواصل بينها، ثم حاولوا وصل حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض، أو وصل الحرفين المتجاورين مع بعضهما، ثم محاولة الفصل بين كل كلمة والكلمة التى تليها فى سطرها الفقى، وكانت بداية وصل الحروف بالباء والراء فى كلمة "بر" بمعنى "بن" نظراً لكثرة استخدامها فى ذكر نسب الشخص إلى أبيه، ثم الكلمات الثلاثية مثل كلمة ملك، وتركوا حروف الألف والواو مفردة[٨].

المصادر الأساسية لدراسة تاريخ شبه الجزيرة العربية: تعاقبت على شبه الجزيرة العربية عصور طويلة سبقت ما يعرف بعصور الجاهلية وهى الفترة الخاصة بدراسة العصر السابق مباشرة لظهور الإسلام، ومن هنا تعددت مصادر البحث فى تاريخ هذه العصور وتختلف فى أهميتها من مصدراً إلى آخر وأهمها:

١) **الكتب السماوية:** هناك مصدرين رئيسيين هما القرآن الكريم حيث ذكرت بعض آيات القرآن الكريم بعض أحوال شعوب تلك المنطقة بهدف استخراج عبرة يستفيد منها باقى الشعوب المعاصرة وبينت أنه كان من بينهم مؤمنين وكفرة وأن لبعضهم حضارات كان من مظاهرها العمارة الضخمة وذكرت لنا أقوام شعيب وهود وصالح وغيرهم من أهل مدين وعاد وإيرم وثمود وأصحاب الأخدود ... وغيرهم، كما صور لنا القرآن الكريم عظمة ملكة اليمن فى صورة النمل، الآيات (٢٣ -٤٤)، ولم يحدد القرآن الكريم اسمها ولا زمانها وترك الأمر لإجتهاد المؤرخين وتتفق أغلب الآراء على أنها كانت ملكة من ملوك سبأ.

والمصدر الدينى الهام الآخر هو: التوراة: وما ورد فيها ولكن علينا الحذر فى قبول كل ما ورد فيه لما به من تحريف ناتج عن إضافات

---

[٧] عبد العزيز صالح، *تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٢٧-٣٥.

[٨] للمزيد راجع: عبد العزيز صالح، *تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٢٧-٣٥؛ بيستون، وريكمانز، والغول، مولر: المعجم السبئى-من منشورات جماعة صنعاء-بيروت، ١٩٨٢؛ خليل يحى نامى، أصل الخط العربى ةتطوره إلى ما قبل الإسلام، القاهرة ١٩٣٤؛

Beeston, A.F.L., *A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian*, London 1962.

المنارة للاستشارات
www.

لبعض الرواة على النصوص الأصلية وصورت هذه المصادر فى إيجاز علاقات العبرانيين ببعض القبائل ودويلات شبه الجزيرة العربية وكانت أهم أسفار التوراة سفر التكوين وسفر المزامير وسفر حزقيال وسفر دانيال.

الآثار: هى من أهم المصادر فهى الدليل المادى الحى من بين مخلفات إنسان أفناه الدهر منذ آلاف من السنيين، كانت أدلته الأولى هى المخلفات الحجرية من أدوات متواضعة ومتشابهة مع مخلفات إنسان فى مناطق أخرى من العالم عاصرت الفترة المعروفة بالعصور الحجرية، كما ترك لنا إنسان تلك العصور آثاراً منقولة متنوعة من أدوات استعماله فى الحياة اليومية، والتى تعكس لنا بداية اهتمامه بالزينة وفنون النحت والنقش، كما كانت بعض الرسومات المسجلة على الصخور لها أهمية كبيرة فى دراسة هذه الفترة، ومع شيء من التحضر نجد مخلفات متناسبة مع هذه الفترة ومزيداً من المعلومات المستمدة من مخلفات أثرية ومعمارية كبقايا المعابد والسدوسد والحصون وأسوار المدن.

وزود هذه الآثار الإنتقال من مرحلة وصف الآثار الظاهرة التى عُنى بها الرحالة والمؤرخون إلى مرحلة التنقيبات الآثارية عن الآثار الدفينة فى باطن الأرض وهى الدراسات الحديثة التى عُنى بها بعثات نمساوية وبريطانية وأمريكية وخاصة فى اليمن بأجزائها وعدن وحضرموت ومسقط وعمان فكشفت عن أعداد من المعابد والمقابر والحصون والمنازل فضلاً عن النصوص والآثار المنقولة المتنوعة.

المصادر الكلاسيكية وما كتبه الرحالة العرب: كتابات الرحالة والمؤرخين الإغريق والرومان الذين زاروا أطراف وسواحل شبه الجزيرة العربية أو جمعوا الأخبار عنها ممن زاروها من قبلهم، ثم سجلوا أسماء دولها وموانيها وقبائلها، وأهم مصادر الثروة فيها، وطرق التجارة منها وإليها، وضمنوها فى مؤلفاتهم ابتداء من القرن الخامس ق.م. ومن هذه الكتابات ما هو صحيح ومنها ما يسوده الخيال وتحريف الأسماء نظرًا لقصر زياراتهم لها ولاختلاف لغاتهم عن اللغة العربية وشقيقاتها الساميات.

وهى من أهم المصادر لدراسة تاريخ هذه المنطقة ويأتى فى مقدمتها تاريخ "هيرودت" وهو رحالة إغريقى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد والذى كتب تاريخاً فى تسعة كتب تحدث فى الثانى والثالث منهم عن الجزيرة العربية والعرب وتعتبر كتاباته من المصادر الهامة والتى لها ثقلها العلمى رغم ما يحويه تاريخه من مغلاطات بحاجة للتصحيح والتفنيد وبعض رواياته كان يشوبها شيئاً من الخيال والأساطير، ومن أهم نقاط النقد الظاهرة فى كتاباته عن تاريخ الجزيرة العربية أنه من الناحية الجغرافية جعلها أكبر من حدودها الآن فهو يدخل فيها سيناء وأجزاء من مصر الشرقية وصحراء بلاد الشام وكان يرى أنها أقصى بلاد العالم من الجنوب، ومن الحقائق التى ذكرها "هيرودوت" البحار المحيطة بالجزيرة وقد أطلق على شبه الجزيرة العربية لقب "أروثرى"، وأفاد "هيرودوت" بمعلومات هامة عن طبيعة تلك

المنارة للاستشارات
www.

المناطق ومناخها وطبيعتها الصحراوية وأهم منتجاتها كاللبان والمر والأكاسيا والقرفة وغيرها. ويلى مؤلف هيرودوت ما كتبه ثيوفراستوس (٣٧٢ -٣٨٧ ق.م)

ثيوفراستوس: كتب موسوعة هامة تتناول المنتجات الزراعية فى تلك المنطقة مزرعة القطن فى البحرين واللبان والمر وأماكن إنتاجهما.

ديويدور الصقلى: من الشخصيات الهامة أيضاً إعتمد فى كتاباته بالدرجة الأولى على ما كتبه أسلافه من الكتابات وقام بتجميع المعلومات من المكتبات العامة وتحدث عن الجزيرة العربية ويعتبر كتابه من أهم المصادر لدراسة تاريخ الأنباط فهو أول كاتب يتعرض لأصل السكان هناك واعتمد على وصف القادة التابعين للإسكندر الأكبر الذين كانوا يتولون الفتوحات فى تلك المناطق ومن هنا ترجع مصداقيته لدرجة كبيرة إلى معاصرته للحدث والواقع المعاصر له وبالتالى بَعَد عن الشطط فى أفكاره التى جاءت خالصة من الأساطير، وحدد موقع الجزيرة العربية ووصف طبيعتها الصحراوية خاصة فى الجزء الشمالى منها وتكلم عن أساليب العرب فى حفظ المياه فى المناطق الصحراوية، وقدم وصفاً للجزء الجنوبى من تلك البلاد بما فيه من خصوبة ناتجة عن الطبيعة المغايرة لتلك المنطقة والناتجة عن حسن استخدام المياه هناك وتنظيمه كما تحدث عن معادنها ومنتجاتها وخاصة الذهب، كما تعرض أيضاً بالحديث عن حيواناتها البرية وخاصة الجمل وعن الطيور التى تحلق فى سمائها.

كتابات استرابون: تعتبر وصفاً جغرافياً بالدرجة الأولى ورغم ما به من قصور كان سببه الحد العلمى الجغرافى المعلوم فى ذلك الوقت الذى كان مازال ناقصاً له ولغيره من علماء عصره، وعلى الرغم من ما بكتابه من قصور إلا أنه ساعدنا فى التعرف على مناطق الجزيرة العربية الزراعية ومواسم الأمطار ومواسم الزراعة والحصاد وأشار إلى بعض طرق القوافل الهامة وخاصة تلك التى فى الشمال.

كتاب يسيفوس ٧٠ ميلادية: من الكتابات الهامة التى أفادت الجزيرة العربية كتاب هذا المؤرخ اليهودى الذى أرخ لليهود تاريخاً وإن كان متحيزاً وبه خلط وتحوير الكثير من الحقائق لصالح اليهود وتعرض لتاريخ الأنباط السياسى وعلاقتهم باليهود، وكمثال لما جاء به من خلط للتاريخ ما قاله عن أن سكان اليمن أو القحطانيين أنهم طائفةمن الأحباش عبروا مضيق باب المندب إلى اليمن قديماً وأقاموا فيها أجيالاً ثم أنشأوا الدولة العربية، وبالتالى فهو يقول أن إفريقيا هى موطن الساميين الأول وهذا يتنافى تماماً مع ما ذهب إليه علماء الأجناس واللغات الذين قالوا بأن جزيرة العرب وبالأخص جنوبها هى مهد الساميين.

بولينوس: المعروف ببيلينيوس الأكبر (٢٣ – ٧٩ ميلادية) وهو كاتب رومانى عاش فى القرن الأول الميلادى وكتب موسوعة فى ٣٧ كتاباً حوى معلومات هامة عن النباتات والمعادن وعلوم الحيوان وقد اعتمد على ما يقرب من ١٠٠ مصدر مختلف ولكنه حينما تعرض لتاريخ شبه الجزيرة خاصة الجزء الجنوبى لها لم يرتب أحداثها ترتيباً زمنياً مقبولاً ومن الأخطاء التى وقع فيها كمثال أنه جعل حضرموت تابعة

المنارة للاستشارات
www.

لسبأ، بيد أن سبأ فى الحقيقة فى زمنه كانت آخذة فى الأفول بينما حضرموت على العكس من ذلك، ولكنه كتب فى كتابه الثانى عشر وصف للنباتات التى تنمو فى شبه الجزيرة وطريقة زراعتها ومواسمها وطريقة جمعها كما تحدث عن طرق التجارة والقوافل وكان دقيقاً فى وصفه بدرجة كبيرة، وورد ذكره للجزيرة العربية مرة أخرى فى كتابه السابع والثلاثون وهو المخصص للمعادن والأحجار الكريمة.
وما كتبه المؤرخون العرب والمسلمون مثل كتب الهمدانى ككتاب "صفة جزيرة العرب والإكليل"

- **ماكتبه الرحالة الغربيون الذين زاروا شبه الجزيرة فى مطلع القرن الثامن عشر والتاسع عشر:** كان لما كتبه هؤلاء الرحالة عظيم الأثر فى إماطة اللثام عن تلك الحضارات القديمة وكانت رحلاتهم مقدمة للبعثات العلمية المنظمة فيما بعد ولعل أول ما لفت أنظار أوائل المؤرخين والرحالة الأجانب إلى تاريخ وآثار شبه الجزيرة العربية ما أتت به الكتب المقدسة عن ملكة سبأ وثراء دولتها وعن أقوام مثل مدين وعاد ثمود، كما لفت نظرهم ما ذكرته المصادر المصرية والسومارية والآشورية عن طبيعة منتجات هذه المنطقة وخاصة البخور، وكانوا بالتأكيد قد إطلعوا على بعض ما كتبه الرحالة القدامى والكلاسيكيين وآثار ذلك فضولهم فى إكتشاف المزيد عن أهل تلك المناطق. واعتمدت أغلب الإكتشافات الحديثة بالدرجة الأولى على الأجانب وخاصة الأوربيين ولم تكن جهودهم خالصة فقط لعشق الآثار ولم تكن قاصرة على المهام العلمية البحتة المترتبة على الكشف الأثرى وإنما كانت للبعثات الأولى مهام أخرى منها على سبيل المثال دراسة المنطقة بأسرها وإكتشاف ثرواتها الطبيعة.

وكانت أهم البعثات المنظمة هى بعثة "دنمركية" توجهت لليمن من قبل الحكومة لدراسة طبيعة المنطقة كلها وكان من أنشط أعضائها الهولندى "كارستين نيبور" الذى زار عدة مناطق عدة فى اليمن ومناطق مختلفة فى الخليج العربى ونشر نتائج رحلته فى عام ١٧٧٢ ووصف فيها ما شهده ورسم عدد من الخرائط، كما سجل لنا مجموعة من الآثار الهامة فى مواقعها الأصلية ونسخ بعض اللوحات المدونة بالخط المسند وكانت تجربته دافعاً له لزيارة منطقة فارسية هامة بإيران وهى منطقة برسوبوليس، فأصبح بذلك رائداً للدراسات القديمة فى كلً من البلدين، ومن البعثات الحديثة هناك البعثة الأثرية الأمريكة التى كانت تعمل فى وادى الجوبة فى مأرب وأتت بنتائج جيدة نشرتها فى عدة تقارير وأبحاث.

المستشرقين: كان للمستشرقين فضلاً كبيراً فى التعرف على خصائص الكتابة العربية الجنوبية عن طريق مقارنتها بما يشبهها وما يعرفونه من الكتابات الحبشية والعبرية والفينيقية وغير ذلك من الكتابات السامية القديمة ومن أوائل علماء اللغة الذين بدأوا هذا المجهود "إميل ريدجر" و"ولهام جيسنيوس" وتبعهما "أرنست أوسندر".

المنارة للاستشارات
www.

ما كتبه العرب المعاصرين: معتمدين على كل تلك المصادر وكان لكل منهم حظه فى التوفيق بين كل تلك المصادر والإستفادة منها وكان من أهمها كتاب العلامة الشيخ "حمد الجاسر" و "جواد على" و"عبد العزيز صالح" و"عبد الرحمن الطيب الأنصارى" وغيرهم بالإضافة إلى عدد كبير من المراجع التاريخية الخاصة منها والعامة وكتب الجغرافيا وعدد من المقالات التى تخص الموضوع.

ولكل مصدر من هذه المصادر دوراً مهم فى تشكيل تصورنا التاريخى وفى مقدمتها القرآن الكريم الذى اشتمل على كثبر من القصص عن الأمم التى عاشت فى الجزيرة العربية وأتت فى القرآن للعظة والعبرة وجاءت فى التوراة قصص شبيهة بقصص القرآن الكريم نقبل منها ما وافق ما جاء فى القرآن ونرفض ما لا يوافقه؟ وفى الوقت نفسه تحدثت التوراة عن ممالك عربية عاصرت أحداث التوراة وصدَقت التقنيات الأثرية وجودها "كالعموريين" و"المؤابيين" و"الآدوميين" و"العمونيين" و"القيداريين" وهى أمم عاشت بين الألف الثانى قبل الميلاد والنصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد وتعد مرحلة من مراحل تاريخ الجزيرة كما تحدثت الكتابات المسمارية عن وجود حكم عربى فى شمال الجزيرة العربية من القرن العاشر قبل الميلاد وتتمثل فى معركة قرقر والملك "جندب" ثم مجموعة من الملكات العربيات فى "دومة" و"تيماء" كما تحدثت التوراة عن قصة "نبى الله سليمان" وسلطه بملكة سبأ وهى قصة جاءت فى القرآن الكريم وكان الهدف منها فى القرآن إظهار "نبى الله سليمان" على أنه النبى المرسل وملكة سبأ وقومها الذين يعبدون الشمس من دون الله، وكيف أنها أمنت بالله رباً وبسليمان نبيا أما قصة التوراة فقد أخذت منحى آخر.

والذى يهمنا من هذا الحدث هو أنه حدث فى القرن العاشر قبل الميلاد وهذا يعنى أن القرون العاشر والتاسع والثامن والسابع شهدت حركة نشطة فى شمال الجزيرة العربية وشمالها الغربى إذا ما أضفنا ما سبق ذكره المدينيين الذين كانوا على علاقة وثيقة "بموسى" عليه السلام فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد وكان نبيهم "شعيب" عليه السلام ثم انتقلت الأوضاع والنشاط السياسى والإقتصادى إلى أطراف الجزيرة العربية فى الشرق على ضفاف الخليج العربى وفى الغرب من مملكة "ديان" و"لحيان" وفى الجنوب فى ممالك "سبأ" و"معين" و"حضرموت" و"قتبان" و"أوسان" وبيدو أن النشاط الحربى فى وادى الرافدين على شمال الجزيرة العربية منذ القرن العاشر قبل الميلاد. وكانت أخر صورة تتمثل فى الملك "نبونيد" فى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد.

أهم الرحالة الذين زاروا بلاد العرب: يحفل تاريخ الراحلة الذين زاروا بلاد العرب بأسماء وقصص كثيرة لا يمكن الإحاطة بها كلها فى مثل هذا البحث ويكفى أن نذكر أن أول إكتمال ببلاد العرب فى العصور الحديثة ، كان بسبب الرغبة فى معرفة ما كان يجرى فى مكة والمدينة إذ ألهب ذلك الموضوع خيال الأوروبيين، وخصوصاً أن المدينتين محرمتان على غير المسلمين.

المنارة للاستشارات
www.

أقدم ما نعرفه عن هؤلاء الرحالة هو أن "دى فرثما" (L, de Verthema) وصل إلى مكة قادماً من دمشق فى أوائل القرن السادس عشر، وتلاه أخرون.
لكن أكثر الرحالة الذين تركوا لنا وصفاً مسهباً لرحلاتهم ومخاطراتهم، كانوا رحالة أوائل القرن التاسع عشر، ويأتى فى مقدمة تلك القصص قصة زيارة المغامر الأسبانى "باديا يى لبلخ " (Badia y Leblich) ، الذى وصل إلى جدة عام ١٨٠٧ تحت اسم (على بك العباسى)مدعياً أنه لم يكن مسلماً فحسب بل كان آخر أمير من نسل الخلفاء العباسيين.
وقد زار مكة وكتب أول وصف دقيق للكعبة وجميع ما كان يجرى أثناء الحج، ووصف جميع مراسمه، وكان أول من عين مكان مكة على خريطة العالم. وكتب "هوجرث"كتاباً عن تاريخ جميع الرحالة حتى عام ١٩٠٤ لخص فيه جميع نتائجهم.
ونحن نقرأ هذا الكتاب نجد الشيء الكثير من أمثال "نيبوُر" (Garsten Niebuhr) ١٧٦١-١٧٦٤ و"هاليفى" (Halevy) ١٨٦٩ و"جلازر" (Glaser) ١٨٨٢-١٨٩٢ الذين زاروا آثار اليمن، وقدموا للعالم كثيراً من المعلومات عن حضارتها، كما نقرأ فى أخبار رحلات أذكياء مثل "ولسد" (Wellsted) ١٨٢٥ و "فون فيرده" (Von Werde) ، و"هيرش" (Hirch) ، و"بنت" (Bent)
و"مايلز" (Miles) الذى فحص جميع شواطىء بلاد العرب فى عام ١٨٦٧موفداً من شركة الهند البريطانية ويخصص "هوجرث" صفحات كثيرة "ليبور ركهارت" (G, L, Burckbardt) ١٨١٥ الرائد الأول للحجاز و"برتون" (Burton) و"سنوك هورجونيه" (Hurgonje Snouck) الهولندى، و"بلجريف" Palgrave ١٨٦٢ - ١٨٦٣ وغيرهم.
من أهم الأسماء وألمعها فى تاريخ إكتشاف بلاد العرب اسم "دوتى" (Doughty) مؤلف كتاب (Arabia Deserta) ١٨٧٥ ، واسم "بلنت" (Blunt) ١٨٨٧ ، و"هوبر" (Huber) ١٨٨٣ ، و "إيتنج" (Euting) ١٨٨٣.
فلما أشرق القرن العشرون بدأت الأبحاث العلمية تزداد، وأصبح بين أيدينا مؤلفات هامة، مثل كتاب "موزل" Alois Musil الذى كتبه فى ٧ أجزاء ويعد تراث خالد فى تاريخ البحث العلمى. وما نشره أيضاً كلٌ من "جاوسين" و"سافينياك" اللذين نشرا نتائج أبحاثهما فى مؤلفهما الشهير عن آثار الحجاز وبخاصة مدائن صالح والعلا.
وفى الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى كان "ديسو" (Dussaud) يقوم بأبحاثه وينقل النقوش فى سوريا وكان يفعل ذلك أيضاً زملائه من العلماء الألمان، فلما نشبت الحرب وإضطربت الأمور توقفت الأبحاث إلى حين.
ووضعت الحرب أوزارها، ولكن لم تجر أى حفائر فى شمال بلاد العرب أو فى الحجاز أو فى نجد، ومع ذلك فقد إزدادت معلوماتنا عن النقوش، وتمكن كثيرون

المنارة للاستشارات
www.

ومنهم "ديسو"، و"دينان" Dunand من نقل كثير من النقوش الصفوية والثموجية واللحيانية، وأصبح من الميسور البدء فى عمل سجل جامع لها.
كان أكثر الرحالة نشاطاً فى نجد وأواسط بلاد العرب، "برترام توماس" ثم "هنرى سان جون فلى"، الذى قام بكثير من الرحلات، كانت أخرها رحلته التى قام بها فى صحبة العالم البلجيكى جـ- ريكمائز ومساعديه وعادوا منها (كان ذلك فى شتاء ١٩٥١-١٩٥٢) ومعهم ٢ألف نقشاً جديداً أكثرها ثمودية ومن بينها أيضاً نقوش لحيانية وسبأية. مرت هذه البعثة بنجران وزارت كل ما وجدته من بقايا المدنيات القديمة فى المنطقة الواقعة داخل حدود المملكة العربية السعودية،
ديانات بلاد العرب: أولاً : المسيحية واليهودية فى بلاد العرب: من الثابت أن كلً من المسيحية واليهودية وصلت إلى بلاد العرب، فأما اليهودية فإنها جاءت حتماً من الشمال ومن المرجح أن يكون أول مهاجرين جائوا فى القرن الأول قبل الميلاد، وقد استقرت جاليات كثيرة منهم على طريق القوافل وبخاصة فى المدن التى كانت حولها أرض زراعية مثل يثرب، وكانت أهم مراكزهم فى اليمن حيث زاد عددهم وأصبحوا ذوى نفوذ تجارى وصناعى فى البلاد.
أخذت المسيحية تفتح لها طريقاً فى شبه الجزيرة، ومن المرجح جداً أن تكون قد وصلتها عن طريق سوريا، وأصبح عدد كبير من العرب يعرف ويؤمن بالدين الجديد. إنه من الجائز أيضاً أن تكون وصلت إلى جنوبى الجزيرة عن طريق آخر وهو طريق الحبشة، وأخذت الديانة الجديدة تنتشر، وشيدوا الكنائس فى مدن كثيرة من اليمن، أهمها جميعاً كنيسة القليس فى صنعاء التى الغرض من بنائها أن تنافس الكعبة فى مكة لتحويل السوق التجارية إلى الجنوب. وازدهرت المسيحية فى بلاد نجران وكان من الطبيعى أن يتنافس اليهود والمسيحيون وأن يحدث بينهم عداء ، فلما قويت شوكة اليهود بإعتناق أحد ملوك الحميريين دينهم، وبدأ ذو نواس فى إضطهاد المسيحين بإجبارهم على ترك دينهم وإعتناق اليهودية، كانت أكثر إضطهاداته لنصارى نجران فحفر لهم أخدوداً ملأه بالنار وكان يلقهم فيه، ولم ينتهى ذلك إلا بتدخل البيظنطينيون وطلبوا من نجاشى الحبشة أن يهب لإنقاذ إخوانه فى الدين.
كان ذلك كله قبيل ظهور الإسلام، فلم يمض بضع عشرات من السنين حتى ظهر الدين الجديد الذى قضى على كل ما كان فى بلاد العرب من أديان ووحد بين قبائلهم وبلادهم، وكون منهم للمرة الأولى والأخيرة مملكة متحدة تخضع لحاكم واحد.
الديانات القديمة فى بلاد العرب: إذا فحصنا ديانة السبأيين أو غيرهم من شعوب الجزيرة العربية نجد أنها تقوم على أساس عبادة الكواكب تتمثل على أساس ثالوث من الكواكب، فكان الأب هو القمر وكانت الإلهة الأم هى الشمس والإبن نجم الزهراء وهذا الثالوث هو الموقاه وذات حميم (وأحياناً ذات بعدان حسب الصيف أو الشتاء) وعشتر، وإلى جانب الآلهة الثلاثة توجد آلهة عديدة أخرى.فقد كان لأكثر البلاد أو القبائل آلهة محلية، وكانت هناك معبودات أخرى للمطر والمحاصيل وغير ذلك، مثل

المنارة للاستشارات
www.

العناصر الجوية، بل إنه كان لبعض العائلات آلهة خاصة يقدمون القرابين لها ويبنون لها الهياكل.
كان كل إله من الآلهة هو السيد لمعبده والمسيطر على أملاك المعبد، وكان الكهنة ذو نفوذ كبير ولهم إمتيازات خاصة، وكان هناك أرقاء يعملون فى حقول المعبد وحدائقه، وكان يقيم فى المعابد طائفة خاصة من النساء تقوم ببعض الطقوس مثلما كان يحدث فى معابد بابل، وكانت هذه المعابد- وخاصة ما بنى فى العصور القديمة- على درجة عظيمة من الفخامة، جديرة بمقارنتها بما خلفته الحضارات الأخرى من آثار.
فإذا نظرنا إلى بقايا المعابد العظيمة فى صرواح، أو مأرب، براقش، معن، الحزم، فإننا نؤمن أنه كان يعيش فى جنوبى جزيرة العرب قوم ذو حضارة وثروة، وتزداد هذه الحقائق عندما نرى بقايا آثار أعمالهم فى إستخدام مياه السيول خاصة سد مأرب العظيم، ولم تقتصر حضارة العرب فقط على فن البناء بل أن دراسة النقوش بدأت تنير الطريق أمامنا لمعرفة حياتهم الإجتماعية ومعاملاتهم وعادتهم وصلة القوم برؤسائهم وصلة القبائل بعضها البعض.
ولهذا أصبح لزاماً علينا أن ندرس بإمعان هذه الحياة الإجتماعية فى جنوب الجزيرة، وندرس ما كان سائداً فيها من أديان وآداب لأن هذه الحضارة وتلك الآراء والعادات والتقاليد، هى ما كونت عقلية ونفسية العرب قبل أن ينتشر بينهم الإسلام، الذى كون إمبراطوريته العظيمة فى زمن قصير، ومن الواجب علينا لكى ندرس حياة النبى العربى الكريم، ونقف على مواطن القوة والعظمة فى خُلقه وفى دعوته، أن نلم بشىء عن الحياة الإجتماعية والدينية التى نشأ فيها وتفتحت عيناه عليها قبل رسالته الكريمة، ولهذا فإن دراسة تاريخ وآثار بلاد العرب قبل الإسلام ليست دراسة عادية لبلد من البلاد، بل أن هذه الدراسة كبيرة الأهمية لا للعرب فقط بل ولجميع المسلمين فى العالم.
أقدم العلاقات بين اليمن والحضارات القديمة: إن الصلات التى كانت بين تلك البلاد ومراكز الحضارات الأخرى فى بلاد الشرق القديم، لو ألقينا نظرة على خريطة الشرق لوجدنا أن شبه الجزيرة العربية تتوسط أقم حضارات العالم، حضارات مصر وبلاد ما بين النهرين، وحضارة وادى السند فى الباكستان. ففى الألف الرابع قبل الميلاد أخذ الإنسان فى كل بلد من هذه البلاد يسير نحو المدنية بخطى ثابتة مستقلاً عن الآخر، ولكن لابد لتقدم المدنية من مظاهر، ومن أهم هذه المظاهر الإتصال بالبلاد المجاورة فإتصلت تلك الحضارات ببعضها البعض واستفادت من هذا الإتصال الشعوب التى كانت على الطريق أو الطرق التى بينها.
تنقسم بلاد العرب إلى وحدتين جغرافيتين أولهما فى الشمال وتشمل الحجاز ونجد، وأكثر أهلها يفضلون حياة البداوه ولا يؤثرون شيئاً على إستقلال الفرد وحريته،

المنارة للاستشارات
www.

ولهذا لم يتهيأ لسكان هذا الجزء من جزيرة العرب أن يصبحوا قوة متماسكة ذات نفوذ إلا عند ظهور الإسلام.

أما سكان الجنوب فيختلفون عن سكان الشمال، فهم سكان سهول ومدن، وهم متباينون عن جيرانهم الشماليين فى أصل جنسهم ومظهرهم وعادتهم، وبين الإثنين تنافس قديم فسكان الشمال هم بنو عدنان ومن العرب المستعربة، أما سكان الجنوب فهم بنو قحطان من العرب العاربة.

ونجح سكان الجنوب أى اليمنيون فى التجارة وأسسوا مراكزاً تجارية كانت تقيم فيها جاليات من اليمنيين على طرق القوافل فى وسط الجزيرة وشمالها وكانت جنسيتهم تلاحقهم فكانوا يُعرفون فى مواطنهم الجديدة باسم المعينيين أو السبأيين، عبر بعضهم منذ أقدم العصور إلى الشاطىء الأفريقى وتاجروا واستقرت جاليات منهم فى إرتريا والصومال، إذ أن عبور البحر الأحمر عند بوغاز باب المندب لا يمكن أن يقف عقبة دون هذا الإتصال لأنه لا يزيد عن ٢٤ كم فى عرضه، ويستطيع من يقف على أحد الشاطئين أن يرى جبال الشاطىء الآخر.

ولدينا أدلة واضحة على صلة مصر ببابل عن طريق البحر من الجنوب قبل صلتها بها عن طريق البر من الشرق هذه الأدلة من الآثار المصرية والبابلية. ونعرف أيضاً أن سكان جنوبى الجزيرة ملاحون موهوبون وأنهم هم الذين قاموا بهذا الإتصال على الأرجح، ولم يكونوا هم الذين أوصلوا بابل بمصر فقط، بل أنهم الذين أوصلوا حضارة وادى السند ببابل ومصر عن طريق التجارة[9].

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن اليمنيين القدماء كان لهم نصيب من المدنية ربما وصل منه شىء إلى بابل وإلى مصر.

الطرق التجارية: إن البحر الأحمر منذ أقدم العصور هو الطريق الذى حمل إلى العالم القديم أول مبادىء الإتصال الفكرى والتجارى، إذ كانت تمخر عبابه منذ عصر ما قبل الأسرات المصرية أى قبل عام ٣٢٠٠ ق.م. سفناً ترتفع مقدمتها ومؤخرتها سفناً لم تكن معروفة فى وادى النيل، ولكنها كانت معروفة فى بلاد ما بين النهرين وفى شواطىء المحيط الهندى.

ووفد إلى مصر قوم فى هذه السفن، ووصلوا إلى وادى النيل من الجنوب ومن الشرق واتخذوا طريق القصير فقط فى رحلاتهم، وترك لنا الوافدون رسوماً لسفنهم على صخور بعض دروب الصحراء الشرقية، وعلى كثير من الصخور المطلة على النيل، كما توغل بعضهم فى ذلك العهد البعيد فى الصحراء الغربية وتركوا لنا صورًا على بعض صخور الدروب وبخاصة فى الواحات الخارجة، فى جبل الطير، وعلى صخور درب الغبارى بين الخارجة والداخلة، إذ كانت هذه السفن فى نظرهم رمزًا لحياتهم السابقة فى موطنهم سواء فى جنوبى الجزيرة العربية، أو فى بلاد العراق أو غير ذلك.

[9] Philip K. Hitti, *History of the Arabs* (3rd , ed 1946) p. 32.

المنارة للاستشارات
www.

الطريق الثانى: وثانى الطريقين هو الطريق البرى، كان له فى ذلك طريقان:
فإما أن تسير القوافل مخترقة البادية رأساً من بابل إلى الشام فتتعرض للمصاعب أولهما نهب البدو لهم، وإما أن تُنقل التجارة فى البحر إلى عدن، وهناك يشتريها تجار ويحملونها بقوافلهم مخترقين الجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها حتى يصلوا إلى الشام (غالباً فى غزة)، ومن هناك يحملها تجار آخرون إلى مختلف أرجاء العالم القديم.
وكان الطريق البحرى هو المفضل منذ أتقن الإنسان فن الملاحة، وكان أكثر أمناً وأقل نفقة، وكان ملاحوا اليمن القدماء هم الذين يحملون التجارة فى سفنهم فيعبرون البحر الأحمر إلى الشاطىء الإفريقى، كما يفعلون اليوم، ثم يسيرون بمحازاة الشاطىء من ميناء إلى آخر حتى يصلوا إلى القصير، ومن هناك تنقلها القوافل إلى النيل.
ومنذ الأسرة الثانية عشرة على الأرجح (أى منذ ٤٠٠٠ عام) أوصل الفراعنة النيل بالبحر الأحمر بواسطة قناة فانتظمت أحوال التجارة أكثر من ذى قبل.
آثار وفنون شبه الجزيرة العربية: على سبيل المثال البحرين: لم تكن الظروف البيئية فى شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة مناسبة لنشوء حضارة مماثلة للحضارات التى قامت فى بقية مناطق الشرق الأدنى القديم. ذلك يرجع إلى عدم وجود المجارى المائية التى ساعدت الإنسان القديم على الإستقرار فهو العامل الأهم لقيام أى حضارة. لذلك كانت مناطق شبه الجزيرة مناطق طرد سكانى على مدار تاريخها أكثر منها مواطن جزب. ورغم ذلك لم يخلو الأمر من العثور على بعض المناطق الأثرية هنا وهناك، لكنها لم تكن على نفس القدر ولم ترتقى آثارها إلى المستوى الى وصلت إليه آثار العراق والشام مثلاً .

المنارة للاستشارات
www.

ملخص لنتائج الكشوف الأثرية فى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية:

البحرين: وجهت أعمال بعثة دنماركية لآثار ما قبل التاريخ الأنظار إلى وجود بعض المناطق الأثرية فى البحرين وذلك منذ ١٩٥٣. وقد بدأت هذه البعثة حفائرها فى جبل الخان، ومنطقة الصحراوية على سواحل الخليج العربى فى دولة البحرين، حيث كشفت عن عدد كبير من المواقع الأثرية التى وجدت وبها الكثير من الأدوات الحجرية وآثار مصنوعة من الظران ثم توسعت البعثة فى عمق الصحراء فكشفت عن الآلف من القابر المختلفة الأحجام والأشكال.

وقد تنوعت هذه المقابر بين الكبير والصغير، المخروطية والمستدير الشكل، وتراوح متوسط إرتفاع المقابر ذات القواعد الدائرية بين المتر و٦ أمتار، وبلغ بعضها ١٢م وبلغ قطر قواعدها ١٧م وأحيط البعض منها بسور دائرى. هذا إلى جانب الكشف عن مقابر أخرى دفن أصحابها فى جرار من الفخار. تتبعت البعثة بعد ذلك شواهد العمران القديم فى العواصم الأولى التى نسبت إلى عهود متفاوتة يحتمل معاصرة أقدمها لعصر الحضارة السومارية فى العراق وعاصر بعضها العصر الأشورى الحديث والعصر البابلى الآخير.

أما أحدث هذه العواصم الحضارة السليوكية الهلينستية والحضارة البارثية. ومن أهم إكتشافات البعثة الدنماركية الهثور على بقايا معابد باربار بموستوياتها الثلاث المتعاقبة وبعض عناصرها المعمارية الأمر الذى دعا إلى تسمية أهم الفترات الحضارية بالبحرين باسم حضارة باربار.

شجعت هذه الكشوف البعثات الوطنية لدولة البحرين على القيام بالحفائر خاصة فى موقعى الحجر والشاخورة عام ١٩٧٠ وكشفت بعثة للحفائر عن بعض المقابر المعاصرة للعصر الكاسى فى العراق وهى مقابر مستديرة لطوائف إجتماعية مختلفة كسيت أغلب جدرانها الداخلية بالملاط وعالتها قطعاً حجرية وكان يمكن الموصول إليها عن طريق درجة حجرية أو أكثر من درجة.

وقامت بعثة وطنية أخرى بالعمل فى منطقة "سار" فى أعوام ٧٧ ٧٩ ٨٠ – ٨٢ ، وتنوعت حصيلة ما بقى من مناطق السكن والعبادة والدفن، من أنواع الآثار المنقولة فشملت كمية كبيرة من أوانى الفخار والأوانى الحجرية ومجموعات من الأختام "الدلمونية" المستديرة ذات القمة المدببة والمسطحة نقش بعضها مناظر محلية والبعض الآخر بمناظر تشبه مناظر الأختام القديمة فى العراق وفى وادى السند مما يدل على وجود علاقات حضارية وتجارية بين البحرين والعراق وبلاد السند.

الكويت: بدأت البعثة الدنماركية حفائرها فى الكويت عام ١٩٥٨، تركزت أعمالها فى جزيرة فيلكا التى كانت تسمى بالإغريقية جزيرة "أكاروس". إمتازت هذه الجزيرة بموقعها التجارى عند مدخل الخليج العربى وبالتالى كانت ميناء هاماً لتزويد السفن بالمياه العذبة والمؤن .

المنارة للاستشارات
www.

دلت الحفائر على وجود تجمعات سكنية تعود إلى العصور الحجرية القديمة التى كانت معاصرة لكلً من الحضارة السومارية وحضارة "كولى" فى بلاد السند خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد وامتد بعضها لتعاصر عصر "إسن – لا رسا". ثم قلت مظاهر العمران لفترة لتعود للظهور كمركز تجارى هام فى عهد الإسكندر الأكبر والعصر السيليوكى حيث اصتبغت منتجاتها الحضارية بتأثيرات إغريقية وهيلينستية إلى جانب صبغتها المحلية.

وتعددت الآثار الثابتة والمنقولة فى الجزيرة، وتمثلت فى بقايا مساكن وأفران ومواقد وأسوار وحصون، إلى جانب معابد محلية مثل معبد إنزاك ومواقع عبادة آلهة الينابيع ومصادر المياه.

عثر على آثار هلينيستية مثل معبد أرتميس. ولوحظ من هذه الآثار كثرة إستخدام الحجارة فى البناؤء على حساب الطوب اللبن وذلك لتوفر الأحجار فى هذه المناطق. كما تبين تداخل الأبنية التى ترجع إلى عصور مختلفة مما يدل على استمرار سكن نفس المواقع على الفترات الزمنية المختلفة. وضمن ما عثر عليه فى هذه البقايا أعداد من الأوانى الفخارية والحجرية وبعض الأسلحة الصغيرة وتماثيل بشرية وحيوانية صغيرة إضافة إلى قطع من العملات المحلية والهلينيستة العربية القديمة. ولما كان أهل هذه المناطق على صلات تجارية وحضارية مع جيرانهم فقد كان طبيعياً العثور على عدد من الأختام الصغيرة المتنوعة الأشكال والأصول، فهناك أختام إقليمية مستديرة أنتجتها حضارة الخليج وأختام إسطوانية مماثلة لأختام العراق، والأختام المربعة التى عرفت فى بلاد السند، ونقشت جميع هذه الأختام بأشكال مختصرة لكائنات بشرية وحيوانية ومناظر طبيعية وزخارف تخطيطية تعبر عن بعض عقائد أهل المنطقة وأساطيرهم والمستوى الفنى السائد فيها.

دولة قطر:

عاش فى تلك المنطقة إبان العصور الحجرية القديمةأُناس كانت حرفتهم الرئيسية الصيد والرعى وقليل منهم عرف الزراعة ولذلك عثرت بعثات الحفائر التى عملت فى قطر على كميات كبيرة من الأدوات الحجرية التى صنفت إلى أربع حضارات بدائية، كما عثر على رسوم مختصرة نقشت على جوانب الصخور صورت مناظر زخرفية وملاحية وعقائدية، وعثر على بقايا بلدة ربما يرجع عمرها إلى أواسط الأف الأول ق.م.

دولة الإمارات:

بدأت الحفائر فيها أول الأمر بواسطة البعثة الدنماركية فى جزيرة "أن النار" التى ربما سميت بهذا الأسم لكثرة ما وجد عليها من أحجار كانت تستخدم كمحكات لإشعال النار، ثم امتد عمل البعثة إلى مناطق أخرى مثل منطقة "العين" وقرية "هيلى". من نتائج هذه الحفائر العثور على شواهد لأربع مراحل للعمران تمثلت فى مساكن متنوعة ومجموعة من المقابر المستديرة الفردية والأسرية يرجع أقدمها إلى

المنارة للاستشارات
www.

الألف الثالث ق.م.، بنى أكبرها بالحجر وصور على مداخلها رسوم لبعض الحيوانات التى تكثر فى هذه البيئة مثلاً الإبل والماشية والحيات، احتفظت بعض المقابر ببعض أدوات الزينة والأوانى والخناجر وما إلى ذلك من الأشياء التى ذود بها الموتى.
شجعت هذه الكشوف أيضاً على قيام بعض البعثات الوطنية على أعمال الحفائر حيث عثرت على المزيد من المقابر ووجد على بعض أحجارها رسوم مناظر للصيد وأعداد من الأوانى وكسر الفخار المزين بأشكال حيوانية وزخارف تخطيطية نُفذ بعضها على الطريقة المحلية واكتسب البعض الآخر اسلوب فنى عُرف فى المناطق المجاورة مثل "باموبور" و"كلى".

المملكة العربية السعودية:

كان من الطبيعى طبقاً لعوامل الإستيطان فى العصور القديمة أن تتوزع التلال الأثرية على الساحل الشرقى للملكة فى "تاج" و"القطيف" و"تاروت" و"العقير" و"الظهران" و"جبيل" حيث كان المجال متاح للقيام بالعديد من الأنشطة التجارية والبحرية، وقد تأكد هذا فى كتابات الرحالة والمؤرخين الكلاسكيين وبعض المصادر العربية القديمة.
وفى منطقة، ربما شغلتها بلدة معاصرة للحضارة الهلينيستية عثر على عدد من التماثيل الطينية الصغيرة على هيئات أنثوية وحيوانات بالإضافة إلى الكثير من الأوانى وكسر الفخار والمباخر المربعة. وفى شبه جزيرة تاروت عثرت البعثة الدنماركية على عدد من المقابر الحجرية ذات الشكل المخروطر بالإضافة إلى بعض آثار لعمران متقطع بدأ أقدمه معاصراً لحضارة "العبيد" فى العراق، وامتد حتى ظهور حضارة "باربار" فى البحرين.
وفى ضوء ما جاء فى روايات الرحالة الكلاسيكيين، امتدت الحفائر إلى منطقة "جارها القديمة" (حالياً): "الجرعاء، العربية، العقير)".
وكشفت الحفائر بالفعل عن وجود آثار لتجمعات عمرانية قديمة تعود للعصر السيليوكى مما تأكد معه الثراء القديم الذى نعمت به المنطقة نتيجة لنشاط أهلها الواسع فى التجارة ولكونها منطقة مرور للقوافل التجارية.
وكان لقرب منطقة الظهران من مناطق النفط أثر بالغ فى الكشف عن جبانة ضخمة نسبت إلى كبار منطقة "دلمون" الذين شمل نفوذهم البحرين والإحساء وتفاوتت المقابر فى هذه الجبانة سواء فى حجمها أو أهمية محتوياتها، كما عثر فى بعضها على توابيت حجرية.
واتجهت الأنظار إلى منطقة "الفاو" التى عثرت فيها إحدى البعثات الوطنية على بقايا منطقة عمرانية قديمة عمل أهلها بالتجارة خاصة وأنها تقع على الطريق التجارى بين نجران وأطراف العراق عبر وادى الدواسر.

المنارة للاستشارات
www.

وقد عثر فى المنطقة على الكثير من الأوانى الحجرية والفخارية وبعض اللوحات الجنازية المنقوشة، وبعض المخربشات على الصخور، وقد حملت هذه النقوش سمات فنية خلطت بين الأسلوب العربى الجنوبى والأسلوب العراقى الشمالى.

المنارة للاستشارات
www.